الشائعة وقتذاك، وانه طالما احتلت فلسطين فان الضرورة التاريخية التي تقضي بتحريرها ستظل تجد من يعبّر عنها وعياً، أو عفوياً، خطأً أو صواباً، وان الظروف قد نضجت للقيام بمبادرة أكثر تنظيماً وانتظاماً في اتجاه تحقيق هذا الهدف.

وقبل الدخول في تفصيل ما جاءت به «فتح» في ذلك الوقت، يمكن الاشارة الى ان مسمّى الثورة الفلسطينية لم يترسخ، ويتأكد، ولم يعد محل جدال، الاّ بعد سنوات. وحاولت قوى عدة العثور على تعبير آخر، بدوافع مختلفة، ولكن مسمّى الثورة الفلسطينية هو الذي تأكد في النهاية، بل تأكد في الوعي التاريخي للعرب اجمعين، وللعالم بعد ذلك، تاريخ انطلاق «فتح» عسكرياً، باعتباره تاريخ انطلاق الثورة الفلسطينية. ولا تزال الكتابات السياسية الخاصة بتلك الفترة تذكر كيف ووجهت هذه الثورة الفلسطينية، و «فتح» في واجهتها، بتهم التعصب الاقليمي، أو الانعزالية القطرية، أو حتى التطرف الديني. وعندما لم تعد هذه التهم تجد من يصدقها أُغرقت الساحة في جدل حول طبيعة هذا النظام الفلسطيني المسلّح، وما اذا كان ثورة أم مقاومة. وكان الكثيرون من الكتّاب والمحررين السياسيين ينكرون على هذه الثورة انها ثورة، ويقتصرون على انها حركة مقاومة؛ وكان لبعضهم العذر في ذلك عندما تصوّر أن هذا الفعل هو مجرد مقاومة للاحتلال الصهيوني، ولم يدرك ما أدركته «فتح» بأن الضرورة تحتاج الى ثورة كاملة، متعددة الوجه والساحة، وليس مجرد عمليات قاصرة على التصدي للاحتلال.

وقد يبدو أن الجدل بين تسمية «المقاومة» وتسمية «الثورة» مضيعة للوقت. ولكن التأكيد على التفرقة بين الثورة وما تعنيه من مبادرة وعملية تغيير كاملة، وبين كلمة مقاومة وما تتضمّنه من معاني رد الفعل، يبيّن أن تمسك قيادة «فتح» بتسمية الثورة كان له ما يبرره، خاصة عندما تبيّن، في التطبيق، أن الضرورة كانت تقتضي ليس فقط ازالة الاحتلال الصهيوني وتحرير فلسطين، وانما، أيضاً، بناء الهوية الوطنية الفلسطينية، وبناء المؤسسات الفلسطينية المستقلة، حتى يكتمل للشعب الفلسطيني ما حرم منه في مجرى التطور الجغرافي، والتاريخي السياسي، للمنطقة كلها.

ولئن كان الهدف الذي أعلنته «فتح» منذ بدأت في بناء تنظيمها المستقل في الشهور الأخيرة من العام ١٩٥٨ وعندما بدأت انطلاقة الثورة المسلّحة في العام ١٩٦٥، هو، في الوقت عينه، هدف العرب جميعاً ـ المعلن على الاقل ـ فان «فتح» تميزت عن غيرها في نقطتين أساسيتين: في الخطة السياسية العامة لتحرير فلسطين، وكذلك في الخطة العسكرية العامة التي تمكّن من ذلك.

مبادىء «فتح» الثلاثة

من السهل، الآن، تبيّن تميّز الخط السياسي العام لـ «فتح» عن باقي الخطوط، والخطط، والبرامج السياسية، للقوى السياسية الرسمية، والشعبية، العربية، التي أعلنت، وتعلن، تمسّكها بهدف تحرير فلسطين.

لقد جاءت «فتح» بمبادىء اسياسية ثلاثة، اختلفت حولها مع بقية القوى في ذلك الوقت، على الرغم من حرصها على عدم الدخول بشأنها في معارك كلامية، أو صراعات أيديولوجية. ويمكن تلخيص هذه المبادىء السياسية الثلاثة في ما يلي: أولاً، ان النضال من أجل تحرير فلسطين هو طريق الوحدة العربية؛ ثانياً، ان حرب الشعب طويلة الأمد هي الطريق الوحيد والحتمي لتحرير فلسطين؛ ثالثاً، ان استقلالية الارادة الجماهيرية الثورية، ورفض الوصايات الرسمية هي الضمان الوحيد